

خصوصيات الخطاب الأدبي الإبراهيمي

The Characteristics of Ibrahimi's Literary Discourse

د. عيسى مباركية

¹ جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)، aissa.mebarkia@univ-oeb.dz

تاريخ القبول: 2025/09/20

تاريخ الاستلام: 2025/06/29

ملخص:

يعد البشير الإبراهيمي أحد أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر، ومفخرة علمائها، وأحد أعظم رموز نهضتنا الثقافية والأدبية، والمتصفح لكتابات الإبراهيمي الأدبية يرى أنها تتسم بعدة خصائص جعلت كتاباته تتفرد بأسلوب مختلف عن كتابات الآخرين.

وعليه ستقارب هذه الدراسة موضوعها من جانبين: جانب نظري يسعى إلى التعريف بالإبراهيمي، وتحديد مفهوم الخطاب والخطاب الأدبي، وجانب إجرائي تطبيقي يقوم على دراسة بعض الخطابات الأدبية الإبراهيمية دراسة داخلية للكشف عن مختلف خصوصياته.

الكلمات المفتاحية: البشير الإبراهيمي؛ الخطاب؛ الخطاب الأدبي؛ خصائص الخطاب الأدبي الإبراهيمي.

Abstract:

Bashir Ibrahimi is one of the most prominent figures of the reform movement in Algeria, a source of pride for its scholars, and one of the greatest symbols of our cultural and literary renaissance. A reader of Ibrahimi's literary writings will find that they are characterized by several features that make his writings unique in their style.

Accordingly, this study will approach its topic from two perspectives: a theoretical perspective that seeks to define Al-Ibrahimi and define the concept of discourse and literary discourse; and a practical, applied perspective that examines the internal nature of Al-Ibrahimi's literary discourses to uncover their various specificities.

Keywords: Al-Bashir Al-Ibrahimi ; discourse ; literary discourse ; characteristics of Al-Ibrahimi's literary discourse..

1. مقدمة

من بديهيات أي عمل منهجي علمي أن يحدد الباحث مصطلحاته التي سوف يتعامل معها في بحثه؛ كون هذا التحديد المصطلحي ينير الطريق ويوضح الرؤية التي يسعى الباحث الوصول إليها، مما يتوجب عليه أن يقف وبشكل مباشر على معالم شبكة مصطلحية واسعة يبني عليها دراسته، وهو الأمر الذي جعلنا نضبط حدود المصطلحات المفاتيح (الإبراهيمي، الخطاب، الخطاب الأدبي) ونوضح الإطار الذي تتحرك فيه، حتى يتسنى لنا بعد ذلك معرفة السمات أو ما يسمى بالخصوصيات التي امتاز بها الخطاب الأدبي الإبراهيمي.

ومن أجل هذا كله سنحاول عبر هذه الورقات البحثية الغوص في بعض الخطابات الأدبية الخاصة بالبشير الإبراهيمي لمعرفة أهم خصائص الكتابة الأدبية عند الإبراهيمي، لذلك كانت الإشكالية التي طرحت في هذه الدراسة تدور حول:

- ما السمات التي تفرّد بها الخطاب الأدبي الإبراهيمي؟

- هل هناك مظاهر معينة تأثر بها الإبراهيمي جعلته يوظفها في خطابه الأدبية؟

- هل يمكن الكشف عن مواطن هذا التأثير وتبيان مدى تفاعله في كتاباته؟

كل هذه التساؤلات؛ هي ما تسعى هذه الدراسة للتنقيب عنها لذلك كانت طبيعة هذا الموضوع تقتضي بالضرورة إتباع منهج معين؛ لذلك اعتمدت المنهج التاريخي لتقصي مسار هذه الكتابات الأدبية عند الإبراهيمي، كما اعتمدت على آليتي الوصف والتحليل ليتم من خلالهما معرفة أهم خصوصيات الخطاب الأدبي الإبراهيمي.

أولاً: الإبراهيمي:

يعد البشير الإبراهيمي أحد أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر، ومفخرة علمائها دعوة وجهادا، وأحد أعظم رموز نهضتنا الثقافية والفكرية والاجتماعية والأدبية، وأحد مؤسسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي تولت تعريف الأمة بماضيها الإسلامي في الجزائر، أفنى عمره في مقاومة الظلم والظلامية، وكافح المحتل بسلاح اللغة والفكر الإصلاحي، من أجل بعث حركة الجهاد ضد المحتل الغربي.

وحري بنا أن نعرف أهم محطات حياته، فقد ولد قطب النهضة العلمية والفكرية « بقرية "رأس الوادي" بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 14 يونيو 1889 /.../ وقد أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف مواهبه المبكرة، وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه، حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة «(الإبراهيمي، 1997، الصفحة 09) و« تفقه وتأدّب في رحلة إلى المشرق سنة 1911، فأقام في المدينة المنورة إلى سنة 1917، وفي دمشق إلى حوالي 1921 » (الإبراهيمي، 2008، الصفحة 06)، وكان أحد المؤسسين البارزين في جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وأصبح رئيسا لها بعد وفاة "ابن باديس"، كما أنه كان « من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، في ذلك الوقت الذي لا يتمكن من نيل العضوية فيها إلا فحول العلماء » (الإبراهيمي، 2008، الصفحة 10)، وفي آخر مراحل حياته الممتدة بين عامي 1962-1965 ضعفت صحته، الأمر الذي اضطره إلى التقليل من نشاطه، إلى أن وافته المنية في « 2 مايو 1965 » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 13). و« الشيخ الإبراهيمي صاحب حس أدبي مرهف وذو شاعرية فياضة وله شعر جميل منه "ملحمة" في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار، في ستة وثلاثين ألف بيت مازالت مخطوطة!! » (الإبراهيمي، 2008، الصفحة 10)، كما ترك في هذا الجانب (الإنتاج الشعري)، أرجوزة هزلية سماها "رواية الثلاثة" في 877 بيتا من الرجز، نظمها إبان تحديد إقامته في "أفلو"، والأعمال الكاملة بعنوان «آثار البشير الإبراهيمي»، التي جمعها وحققها أحمد طالب الإبراهيمي.

كما ترك العديد من المؤلفات منها "شعب الإيمان"، و"حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام" و"الاطراد والشذوذ في العربية" و"أسرار الضمائر العربية" و"كاهنة الأوراس" و"الأخلاق والفضائل"، وجمعت مقالاته بمجلة البصائر في كتاب "عيون البصائر"، وغيرها من المؤلفات الأخرى.

ثانيا: الخطاب:

يعد الخطاب من المصطلحات النقدية الحديثة التي أخذت تتداول في العقود الأخيرة من القرن العشرين، نظرا لاستخدامه في مجالات معرفية مختلفة، وقد ظهر هذا المصطلح في الفكر العربي نتيجة احتكاكه بالتيارات الغربية، ورغبة منه في مواكبة التيارات المستحدثة على الساحة النقدية، فقد تعددت مواضعه، وبالتالي كان من الصعب إيجاد تعريف محدد وشامل لهذا المصطلح، فمفاهيمه متعددة بتعدد اتجاهات أصحابها واختلاف أفكارهم وآرائهم، رغم ذلك فهو يحتل مكانة وموقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات اللغوية التي تندرج في مجال تحليل النصوص، وحتى يتسنى لنا معرفة هذا المصطلح أكثر، ينبغي علينا أن نمثل له ببعض المفاهيم (اللغوية والاصطلاحية) التي تسهم في توضيحه وكشف اللبس عنه.

1. لغة : إن الخطاب مصدر للفعل (خطب)، وقد جاء في لسان العرب "لابن منظور" في مادة (خ ط ب) «الخطاب هو مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان» (ابن منظور، 1997، الصفحة 275)، وما يمكن أن نراه من هذا المفهوم الذي وضعه "ابن منظور" أن الخطاب عنده مرادفا للكلام، وينتج عن طريق المشاركة بين اثنين، أي بين متكلم وسماع، ويرى الزمخشري أن الخطاب: «هو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، واختطب القوم فلانا: دعوه إلى أن يخطب إليهم» (الزمخشري، 1997، الصفحة 112)، أما المعجم الوسيط فقد ورد أيضا في مادة (خطب): «خاطبه، مخاطبة، وخطابا: كالمه وحادثه، ووجه إليه كلاما، ويقال خاطبه في الأمر حدثه بشأنه، و(الخطاب) الكلام... الرسالة» (إبراهيم مصطفى وآخرون، 1972، الصفحة 243).

فالملاحظ على هذه المفاهيم اللغوية يرى أن الخطاب مرادفا للكلام، كما ينتج إزاء التفاعل بين المتكلم (المرسل) والسماع (المتلقي) في إنتاج الخطاب، فالخطاب هو حبل الوصل بين الخطيب والمخاطبين، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم، وتردد ذكرها في مواضع مختلفة، نذكر منها: قوله تعالى: «فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» (سورة ص، الآية 23) وقوله أيضا: «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ» (سورة ص، الآية 20) وقوله عز وجل: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» (سورة النبأ، الآية 37) وقوله أيضا: «لَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ» (سورة هود، الآية 37) وقوله تعالى: «وَإِذَا خَاطَبَهُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» (سورة الفرقان، الآية 63).

2. اصطلاحا : من الصعب تحديد مفهوم جامع مانع للخطاب، وهذا راجع لتعدد مجالات استخدامه، فهو من الألفاظ التي شاعت في حقل الدراسات اللغوية ولقيت إقبالا واسعا من قبل الدارسين والباحثين، ومصطلح الخطاب: «هو نوع من الترجمة أو التعريب لمصطلح discours في الفرنسية أو diskours في الألمانية...» (عصفور، 1997، الصفحة 47) ونجد على مستوى الاشتقاق اللغوي «أغلب المرادفات الأجنبية الشائعة لمصطلح (الخطاب) مأخوذة من أصل لاتيني، هو الاسم Discursus المشتق بدوره من الفعل Discursere الذي يعني (الجري هنا وهناك) أو (الجري ذهابا وإيابا) وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والارتجال، وغير ذلك من الدلالات التي أفضت في اللغات الأوروبية الحديثة إلى معاني العرض والسر...» (عصفور، 1997، الصفحة 47.48) وقد عرف هذا المصطلح اضطرابا مفهوما جعل مفاهيمه تتعدد، وذلك لارتباطه بتصورات مختلفة للغة، مما نتج عن ذلك تداخله مع مصطلحات أخرى كمصطلح (الكلام، الملفوظ، التلفظ، النص، القول...).

وقد ظهر هذا المصطلح في حقل الدراسات اللغوية، خاصة بعد صدور كتاب "محاضرات في الألسنية العامة للسويسري" فرديناند دوسوسير F.saussure (1913-1857)؛ والذي رأى أن الخطاب هو: «مجموع ما يقوله الناس ويضم:

1.2. الفعاليات الفردية التي تعتمد على رغبة المتكلم .

2.2. الأفعال الصوتية التي تعتمد أيضا على إرادة المتكلم، وهذه الأفعال لا بد منها لتحقيق الفعاليات المذكورة في (أ) « (دي سوسير، دت، الصفحة 38) ، ونجد الباحث المغربي "طه عبد الرحمان" من بين الذين يضعون حدودا للخطاب، فيقول: «إذ حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصصا» (عبد الرحمان ، 1998 ، الصفحة 215)، فهو يقتصر الخطاب على كل منطوق فقط؛ وهذا المنطوق هو كل كلام صادر من متكلم محدد، موجه إلى شخص محدد، قصد تأكيد غرض محدد .

بينما نجد صاحباً كتاب (دليل الناقد الأدبي) يعرفانه بأنه: «كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً» (الرويلي والبازغي ، 2002 ، الصفحة 155)، ويذهب "مايكل شورت" Mechel Short إلى أبعد من هذا، فيقول: «الخطاب اتصال لغوي، يعتبر صفقة بين المتكلم والمستمع، نشاطا متبادلا بينهما، وتتوقف صيغته على غرضه الاجتماعي» (ميلز، 2004 ، الصفحة 03)، فالخطاب تجربة دينامية تساهم فيها أطراف متعددة عن طريق التفاعل، من أجل تحديد الأدوار والأغراض .

والخطاب حسب "بنفينيست" E.Benveniste: «هو كل تلفظ يفترض متحدثا ومستمعا، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال» (الباردي، 2004 ، الصفحة 01) فهو تحدث عن الخطاب بكونه الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما، وينتج بواسطة من متكلم ومستمع بما يحمله من تفاعل وتجاوز من أجل التواصل .

فمحاولة وضع تعريف موحد وجامع للخطاب، ليس بالأمر الهين، فتعدد تعريفاته يعود إلى تعدد التوجهات والتشعبات التي يدخل ضمنها هذا المصطلح، فكل يعرفه حسب توجهه والميدان الذي يتبناه، مما يصعب إيجاد تعريف قار له، وما يحدد هذا المفهوم ويحصره ضمن اتجاه بعينه، إنما هو السياق الذي تستعمل فيه بعض العبارات دون سواها كأن نقول (الخطاب الديني، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب الأدبي)، وهذا الأخير ما سنحاول معرفته والتنقيب عن أسرارهِ وخصائصهِ باعتباره موضوع الدراسة التي نحن بصددِها.

ثالثا: الخطاب الأدبي : إن الخطاب الأدبي يمتاز عن غيره من الخطابات بكثير من المميزات التي تكفل له ماهية خاصة وتمنحه نوعا من الاستقلالية التي تجعل من تحديده وتمييزه عملية سهلة لا تعقيد فيها، بوصفه خطابا إبداعيا يتخذ من طريقة التعبير وجمالية الأسلوب ركنا لا يمكن أن نتنازل عنه، كما يعتمد على أدبية اللغة التي تكون لها الكلمة الفضل في تمييزه عن غيره، فوجود خطاب أدبي يفترض وجود خطاب غير أدبي، ولكل من الخطابين خصائص تميزه، ف"عبد السلام المسدي" يعرفه على أنه بنية يجب أن تدرس في ذاتها ولذاتها، وفي هذا الصدد يقول: «إن ما يميز الخطاب الأدبي هو انقطاع وظيفته المرجعية، لأنه لا يرجعنا إلى شيء، ولا يبلغنا أمرا خارجيا، وإنما هو يبلغ ذاته، وذاته هي المرجع والمنقول في نفس الوقت...» (المسدي، 1982 ، الصفحة 116) ، ولا يكاد يختلف مفهوم "أنطوان المقدسي" عن مفهوم "المسدي"؛ إذ يعرفه على أنه «جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها، وهي مكتفية بذاتها، أي أنها مكانا وزمانا ووجودا ومقاييسا لا تحتاج إلى غيرها...» (السد، 2010 ، الصفحة 67) ، وما يمكن أن نستشفه من هذا التعريف، أن الخطاب الأدبي مهما كان حجمه فإنه يشكل جملة واحدة تجمع بين أعضائه علاقات إحالية، كما أن حدوده غير مكتفية بذاتها، فهي نسيج عضوي يحيل بعضه إلى بعض، فتأثر "المقدسي" بالنظرية البنوية يبدو واضحا من تعريفه للخطاب الأدبي، ومن خلال اعتباره لهذا الأخير أنه بنية مغلقة مكتفية بذاتها، كما يدعو لدراسته بمعزل عن العوامل الخارجية، أي بدراسته في ذاته ولذاته .

كما أن للخطاب الأدبي بعض الشروط والمقاييس التي تجعل منه خطاباً أدبياً، وهذا ما نجده عند "عبد السلام المسدي" الذي رأى أنه: «صياغة مقصورة لذاتها، وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن الخطاب النفعي (بمعنى الخطاب العادي) بمعطى جوهري، لأنه مرتبط بأصل نشأة الحدث اللساني في كلتا الحالتين، فبينما ينشأ الكلام العادي عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران والملكة، نرى الخطاب الأدبي صوغ للغة عن وعي وإدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور للدلالات، وإنما هي غاية تستوقفنا لذاتها/.../ والخطاب العادي شفاف نرى من خلاله معناه، ولا نكاد نراه هو في ذاته، فهو منفذ بلوري ما، يقوم حاجزاً أمام أشعة البصر، بينما يتميز الخطاب الأدبي بكونه ثخناً غير شفاف يستوقفك هو نفسه قبل أن يمكنك من عبوره أو اختراقه....» (المسدي، 1982، الصفحة 116)

فما نلمسه من هذا القول تلك المفارقة البينة بين الخطاب العادي والخطاب الأدبي، وما نجم عنها من معرفة لتلك الأساسيات التي تسهم في بناء الخطاب الأدبي وتحقق خصوصيته، أو تحقق ما يسمى بالأدبية، والتي تعني «خصوصية الخطاب الأدبي، والتي يمكن أن تعبر إما كهدف يسعى إلى تحقيقه البحث من خلال الخطاب الواصف، وإما كمسلمة تعين على تحديد الموضوع المعرفي سلفاً» (بن مالك، 2000، الصفحة 97، 98).

وبناء على ما سبق يتبين أن الخطاب الأدبي هو الممارسة الأدبية للغة سواء أكانت شفوية أو كتابية، وهذه الممارسة مرتبطة بأسس ومقاييس فنية مختلفة باختلاف أنواع الفنون الأدبية.

رابعاً: خصوصيات الخطاب الأدبي الإبراهيمي:

يتسم الخطاب الأدبي الإبراهيمي شعراً كان أم نثراً، بجملة من الخصوصيات التي تميزه عن غيره من الأدباء والشعراء، والمتتبع لكتابات الإبراهيمي، يرى بعض الخصوصيات التي امتازت بها، من ذلك خاصية:

1. الاقتباس: تعد سمة الاقتباس من بين السمات التي تميز بها أسلوب البشير الإبراهيمي، فالقارئ لنثره وشعره، يرى بأنهما يتضمنان الكثير من آيات القرآن الكريم، هذا الأخير الذي يعد منبعه الأساسي الذي يستقي منه مادته الشعرية والنثرية، فنجد يستمد من آياته البليغة الفريدة، العبارة والأفكار والأحاسيس، فقد استقاها بمدلولاتها ومفاهيمها التي وردت في القرآن الكريم، دون تغيير وبكثير من ألفاظها، والغرض من ذلك هو تأكيد المعنى والإقناع، إذ أن سبب حماسة الأدباء والشعراء في استخدامهم لـ «الاقتباس من المصدرين المقدسين القرآن الكريم والحديث، رغبتهم في تنوير كلامهم، فكلام الله نور، وكلام الرسول نور، واقتباس الإنسان من هذين النورين، أو من أحدهما يرفع من مقام كلامه ومستوى أدائه الفني» (بكري، 2003، الصفحة 111).

وإن المتتبع لكتابات "الإبراهيمي" (المقالات)، يجدها حافلة بألفاظ وعبارات صريحة وأخرى ضمنية مستوحاة من النص القرآني، ومن النماذج التي تبين ما هو ضمني من القرآن الكريم، قوله في سياق حديثه عن الصفات التي يجب على المعلم أن يتحلى بها، من ذلك صفة الأمانة والرفق والإحسان، والتي نجدها حاضرة في هذا القول: «إنكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك، رعاياها أطفال الأمة، فسوسوهم بالرفق والإحسان، وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة في التربية إلى مرحلة أكمل، إنهم أمانة الله عندكم وودائع الأمة بين أيديكم، سلمتهم إليكم أطفالاً لتردوهم إليها رجالاً، وقدمتهم إليكم هياكل لتنفخوا فيها الروح، وألفاظاً لتعمروها بالمعاني، وأوعية لتملأها بالفضيلة والمعرفة» (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 112)، وبما أن المعلم قد حظي بهذه المهمة العظيمة المتمثلة في التعليم، وجب عليه أن يكرس كل طاقاته لخدمة المتعلم ولا يبيخل عليه بشيء، فنجد في هذا القول حضوراً قوياً ومتوافقاً مع ما ورد في القرآن الكريم في قوله عز وجل «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» (سورة النساء، الآية: 58)

وجاء في موضع آخر اقتباساً آخر بشكل ضمني مع بعض آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله الذي يحث فيه المعلمين إلى ضرورة الالتزام بالتواضع وترك الغرور والعلو لأنها أخلاق دينية وحقيرة لا فائدة ترقى منها، من ذلك قوله: «أي أبنائي

المعلمين: إنكم جنود الإصلاح، فأصلحوا نفوسكم وداووها من داء الأنانية والغرور وتلاقوا على الحرفة الجامعة بالأخوة والتعاون، والتساند والتضامن» (الابراهيمي، 1997، الصفحة 112)، وهذا القول فيه إحالة إلى قوله عز وجل: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» (سورة الإسراء، الآية: 37)، فالآية القرآنية واضحة كل الوضوح في ترك التكبر والعلو على الآخرين، كما ورد في كتابات الإبراهيمي ما يحيل إلى الاقتباس الضمني مع الحديث النبوي الشريف، من ذلك قوله الذي دعا فيه طالب العلم إلى التحلي بالصبر والسفر إلى بلاد العلم وتعلمه من المشايخ و الأساتذة الأكفاء، وفي هذا الصدد نجده يقول: «وإنكم يا أبنائنا فارقتم الأهل، وفيهم الآباء والأمهات، وفارقتم الديار التي خلفتم فيها التمام، وفارقتم الوطن الذي له على كل حر كريم دين! وفاؤه الحب، وكفاؤه النفع والجميل، وما هون فراقكم على آبائكم وهون فراقهم عليكم إلى الآمال اللانحة لكم ولهم في مستقبلكم، ولما تعودون به من علم يصحبه فخر، وحسن ذكر، وطيب أصدوثة» (الابراهيمي، 1997، الصفحة 201)، وهذا القول فيه إحالة إلى الحديث النبوي الشريف الذي رواه أنس رضي الله عنه عن الرسول. صلى الله عليه وسلم. قال: «من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع» (الدمشقي، دت، الصفحة 370) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

كما يوظف الإبراهيمي الاقتباس في مقالاته ، ولكن الاقتباس هنا جاء بشكل صريح ومباشر، استقفاها بمدلولاتها ومفاهيمها التي وردت في القرآن الكريم، دون تغيير وبكثير من ألفاظها، من ذلك القول الذي يبين حسرة وتأسف الإبراهيمي من الوضع السائد آنذاك، من تخلف وجهل أصاب أبناء الوطن، وسبب ذلك هو أن الجيل السالف هو الذي خلف للجيل الناشئ هذا الهوان، فيقول: «ثم رجع بصره، فإذا ذئاب تتخطف، وصوالجة تتلقف، وطفيليات أنبتا الدهر في دمنته؛ ثم رجع البصر كرتين فإذا أمامه مسافات مما قطع السائرون ...» (الإبراهيمي، دت، الصفحة 302) ، ونلاحظ من العبارة اقتباسا مع قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)» (سورة الملك، الآية: 3، 4)

ويوظف في موضع آخر اقتباسا يمزجه بالسخرية والتهكم على سلطة الاحتلال، يكشف من خلاله سياسة إدارة تعددت تدخلاتها في الشعائر الإسلامية، فيقول: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للاستعمار...» (محمد البشير الإبراهيمي: دت، الصفحة 403)، وهذا اقتباس مباشر من قوله عز وجل: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (سورة الأنعام، الآية: 162)

كما يوظف في موضع آخر اقتباسا يحاول من خلاله أن يوقظ الضمير العربي من غفوته، والمسارة في استرجاع الأرض الفلسطينية والدفاع عنها، فنجدته يقول: «فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون» (البشير الإبراهيمي، دت، الصفحة 504)، وهذا اقتباس من قوله عز وجل: «قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون» (سورة يوسف، الآية: 14).

وهناك العديد من النماذج التي استوحى من أجوائها وأفنانها آيات القرآن الكريم، فهذه الخاصية تفشت في كتاباته، لذلك عد الإبراهيمي أكثر الأدباء والشعراء إلتفاتا إلى توظيف المفردات القرآنية، وهذا الاستنجا بالآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف والإرث الإسلامي الظاهر على كتاباته، مرده إلى وعيه الديني المبكر، فهو الذي حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة جدا، وكذا قناعته التامة بأن النص القرآني غني لا نظير له من الناحية الفنية والبلاغة.

2- السخرية : تعتبر السخرية أسلوبا من الأساليب الأدبية، التي يستعملها الأديب الموهوب للنيل من خصومه وللدفاع عن قضايا مجتمعه والتعبير عن آلامه وهمومه، وهذا ما أكده الدكتور عبد الحليم حفي في قوله: «السخرية أسلوب واضح ومحدد من أساليب النقد ومواجهة عوامل السخط والإثارة، أي أنها سلاح من أسلحة المقاومة والدفاع، وليست أسلوب من أساليب الفكاهة لذات الفكاهة والطرافة كما قد يبدوا الأمر» (حفي، 1992، الصفحة 24)، كما تعرف « بأنها نوع من الهزء قوامه الإمتاع عن إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات، والإيحاء عن طريق الأسلوب،

وإلقاء الكلام بعكس ما يقال» (جبور، 1984، الصفحة 158)، فالسخرية وفقا لهذين التعريفين، نرى بأنها تقوم على أسلوب المعارضة وقلب المعنى.

وما نلمسه على بعض كتابات الإبراهيمي النثرية أو الشعرية توظيفه لهذه الخاصية، التي عبر من خلالها عن رأيه بصيغة فنية غير مباشرة، حملت لمسته الإبداعية، من ذلك قوله: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للاستعمار...» (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 403)، فقد انزاح النص السابق نسبيا عن صيغته الأصلية في القرآن الكريم، وتغيرت مفردة من مفرداته والمتمثلة في لفظة الاستعمار، التي وظفها لتكون محل للسخرية وأسلوبا للمعارضة، لذلك نجده يقلب المعنى الحقيقي الذي ورد في القرآن الكريم: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين» (سورة الأنعام، الآية: 162)، فرغم ما تحمله وما تثيره هذه العبارة من ضحك واستهزاء، إلا أنها توجه اهتماما خاصا إلى عيب ما، وهو ذلك التدخل والتجاوز المفرط التي تقوم به سياسة الإدارة في الشعائر الإسلامية، فأسلوب السخرية هنا وظفه الإبراهيمي للنيل من خصومه (الاستعمار) وللدفاع عن وطنه وقضاياه وعدم التدخل في شؤون لا يفقهونها.

كما نجد هذه الخاصية موظفة بكثرة في أرجوزته (رواية الثلاثة)، التي تمثل حالة ثلاثة من الأساتذة «الشيخ السعيد بن حافظ مدير مدرسة التربية والتعليم الحرة بقسنطينة، والأستاذان: عبد الحفيظ الجنان، ومحمد بن العابد (الجلالي)، المعلمان بها، وشيخهم هو مؤلف الرواية، كانت الفكرة التي بنيت عليها الرواية أنه لا سبب لانقطاع الثلاثة وجفائهم للشيخ إلا الفرنك، أعني قيمة طابع البريد الذي يحمل الرسالة إليه، وهو لا يطمع منهم في أكثر من هذه الصلة، وهو في محنتها التي هو بها أحوج إلى المقومات الروحية منه إلى المقومات المادية /.../ ولكنهم إذا حدثوا بالكتابة إليه، أو حدثهم أنفسهم، جمدت العواطف وجفت الأقلام، وجف الريق، وانتصب خيال الفرنك اللعين، ففضى على كل شيء، ولا شك أنهم يتألمون تألما نفسانيا، وتخزهم ضمائرهم» (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 60)، وكون هذه الأرجوزة الطويلة تبنى على الخطاب الساخر من بدايتها إلى نهايتها، سنعتمد إلى إبراز نموذجين أو أكثر على سبيل التمثيل لا غير، من ذلك قوله حينما دخل (تلميذ في يده قرعة شمة ملفوفة في قرطاس).

« التلميذ : هدية من رجل برّاني مثل حمار جارنا الحرّاني

كلفني من بعدما مناني بحملها لشيخنا الجناني

الجلالي : فقد كذب الطفل ولو قد صدقه لكنت الشمة أيضا صدقه

(يفتحها ويذوقها بأنفه)

بوركت الأيدي اللواتي فكّت دخانها وفركت وفكّت

الجنان : (صمطتها) عني بذكر الأكل إذ ليس شكل الأكلين شكلي .

لجلالي : أعذر أختاطربه هذه النكت ولو جدعت أنفه لما سكت .

الرئيس : الجمع لا يثمر إلا خيرا والطرح لا يثمر إلى ضيرا » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة، 84، 85)

فالشاعر يسعى من خلال توظيفه لهذا الخطاب الساخر، محاولة معالجته لقضية الأمراض الاجتماعية والأخلاقية ، المتمثلة في قبول الصدقة على - حد قوله - لذلك نجده يقول في موضع آخر على لسان أحد شخصياته (الجلالي) مبينا موقفه من ذلك :

«الجلالي : تبا له فإنه قد جعل الله ما يكرهه وافتعلا

تعيديها منه خراب ذمة وأخذكم لها سقوط همه » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 86)

ومن نماذجها أيضا في هذه الأرجوزة ، قوله :

«الجنان : أنا أرى أن الرئيس قد حكم لنفسه وما لنا إلا البكم

أوحى له المكتب والكرسي منزلة ما نالها إنسي

الجلالي : أعوذ بالله من القيادة وإن غدت في عصرنا سياده

الجنان : وأنت تدري بالقضاء الفصل من أين يؤكل (الدماغ المصلى)

وهذه فرع عن الإدارة فخذها بالحق عن جداره

وهكذا فليكن المدير وهكذا فليكن البندير» (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 69.67).

فنلمس من هذه الأبيات جانبا ساخرا يوظفه الشاعر ليعبر من خلاله عن موقفه تجاه الفوارق الطبقيّة والمحسوبية التي تفشت في المجتمع، وأصبح صاحب المكانة الرفيعة يتباهى بمنصبه، ويتعالى عمن دونه منزلة، وغيرها من النماذج التي تتضمن طابع السخرية، هذه الأخيرة نجدها قد تخللت بعض أدبه ودقت أنسجته وشملت من السطح إلى العمق، بحيث يمكن رؤيتها بارزة في بعض أعماله الإبداعية.

3. توظيف المحسنات البديعية والصور البيانية:

إن المتصفح لكتابات الإبراهيمي سواء كانت شعرية أم نثرية، يلحظ توظيفه المكثف للمحسنات البديعية والصور البيانية، وسنمثل لهذه الخاصية، التي امتاز بها خطابه الأدبي ببعض الأمثلة التي توضح ذلك.

1.3. المحسنات البديعية: وهي من الأساليب التعبيرية التي يستعين بها الإبراهيمي، ليظهر مشاعره وعواطفه، وليؤثر بها في نفوس المتلقين، ومن أبرز فنونها التي نجدها موظفة ما يلي:

1.1.3 الجناس : وهو فن من فنون البديع التي قسمها علماء البلاغة إلى فنون بديعية لفظية، وأخرى معنوية؛ وهو اتفاق أو تشابه كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وهو يعطي للمعنى قوة وللألفاظ جزالة، ويسكب في الأذان موسيقى رائعة ساحرة، ومن أمثله في كتاباته ما يلي: « إن غضبة العاجز لا تبكي ولا تنكي، تشتعل في الحنايا، ولا تهدم الحنايا..» (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 601) ، وهذا الكلام سيق أثناء حديثه عن سبب تمكن الغرب من العرب، والسبب في ذلك - حسبما يرى - عجزهم عن الدفاع عن أنفسهم، والجناس هنا تام، فلفظة الحنايا الأولى تعني أعماق الصدر، والثانية ما كان منحنيا كالقوس، ويعني بها الإبراهيمي هنا حنية الكنيسة، وهي نصف قبة في صدر الكنيسة.

ويقول في موضع آخر ناقما على تقاعس فرنسا عن التحقيق في الجرائم التي ترتكبها في حق الجزائريين، فنجده يقول: « وطردت القاعدة، فظلت قاعدة » (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 411)، فاللفظة (قاعدة) تعني النظام أو القانون، والثانية تعني عدم المبالاة بما حدث.

ويقول أيضا: « وإذ بالوحي ينزل مرة أخرى بالنسخ أو بالفسخ...» (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 128) ، وهو جناس ناقص (النسخ) و(الفسخ) والاختلاف في حرفي (النون والفاء) .

ونجده يوصي معلمي جمعية العلماء المسلمين بأن يكونوا قدوة لطلبتهم فيقول: « واعلموا أن كل زلة منكم . وإن صغرت . محسوبة على جمعية العلماء، منسوبة إليها ».(الإبراهيمي، د ت، الصفحة 298)

ومن نماذجه في نصوصه الشعرية قوله:

« وهل أتاكم .والكذاب يردي . أني سللت برده من يردي

لأنه قد سبني سبا شنيع من بعد ما قد كنت كالحصن المنيع

ونال مني سجعه القيح ما لم يبحه في الورى مبيح » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 62)

فوقع الجناس الناقص في (يردي .بردي)، (شنيع .منيع)، (قيح .مبيح)

ومن أمثلة الجناس التام قوله

« وأنت وغد من بني جلال فهل سألت العرب عن جلال ؟» (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 71)

ويقول في موضع آخر:

« وأدها في الوقت كالعبادة بذاك أوصى ربنا عباده » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 72)

والأمثلة في هذا الجانب كثيرة، لا يسعنا المقام لذكرها كلها.

3. 1. 2. السجع: من المحسنات البديعية اللفظية، وهو توافق الكلمة الأخيرة من الجملة مع الكلمة الأخيرة من الجملة الموالية في الحرف الأخير، والإبراهيمي نجده يوظف هذا الفن في كتاباته، مما أعطى كلامه رونقا وأنغاما موسيقية، وكان لها الوقع والأثر الحسن في نفس السامع، ومن أمثلته ما يلي: « يبين لنا. رضي الله عنه. وهو مصدر البيان، ونبوع التبيان، أن الأعمار هي الأعمال، وبالإحسان فيها تتفاوت قيمة الرجال، وأن ذلك لا يرجع إلى وزن بميزان، ولا كيل بقفزان، وإنما هو عقل مفكر، ولسان متذكر... » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 65)، ومن نماذجه أيضا قوله: « اللهم باسمك نتدي، وبهديك نتدي... » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 15)، ونجده يقول أيضا: « فلا تعمل عملا إلا تقوّلوا، ولا تقف موقفا إلا تغوّلوا... » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 32)، وهذا الكلام قيل في سياق حديثه عن أعداء الجمعية الذين كانوا يقفون أماها، يتحدثون عنها بما يسيء لها ولأعضائها، والنماذج في هذا الجانب كثيرة.

3. 1. 3. الطباق: ويقصد به الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، وقد ورد الطباق بمواضع كثيرة في كتابات الإبراهيمي، فتجلى في أجمل الصور البلاغية ليعطي نصوصه طابعا تأثيريا مميزا في نفس المتلقي، ومن أمثلته ما يلي:

« وهذه علامة منفصلة تتبعها علامة متصلة » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 65)

ومن نماذجه أيضا:

« يرتاض بالتنفس العميق ويصل الزفير بالشهيق » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 66)

« أمضيتهما من تحت لا من أعلى كما لبست في الأخير النعلاء » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 66)

« وأنتم النور لهذي الأمة فمن ينير إن عرتكم ظلمه » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 74)

ومن نماذجه في كتاباته النثرية ما يلي:

« ...وألح علي في صراحة، أن أخرج من الصمت إلى الكلام باسمي أو باسم الجمعية... » (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 18)، وقوله « لأنني أعلم أن الاستعمار يشرك بين الأقوياء والضعفاء في إفساد الضمائر » (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 18)، وهو طباق يكشف ويفضح من خلاله أساليب الاحتلال، وقوله: « فهذه تعطي وتلك تمنع، وهذه توسع وتلك تضيق » (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 59)، وقوله أيضا: « وتحمل الكلام من المقاصد وخلها ما يطبق وما لا يطبق... » (الإبراهيمي، د ت، الصفحة 144).

فقد أسهم توظيفه لهذا الفن في توضيح الفكرة المراد توصيلها، إضافة إلى تعزيز الفكرة ولو كانت واضحة بإعطاء الأضداد، مما أحدث جرسا موسيقيا وزاد المعنى وضوحا وجمالا.

وما يمكن قوله عن الفنون البديعية التي وظفت في كتاباته أنها أدت دورا رياديا وأساسيا في إبراز المعنى المقصود بألفاظ جميلة موحية، استطاع من خلالها إبعاد الملل عن القارئ.

2. 3. الصور البيانية:

إن القارئ للإبراهيمي، يلحظ توظيفه المكثف لأضرب من الخيال، نسجت عباءته اللغوية، وجعلتها لغة قوية تتسم بالوضوح، ومن أبرز هذه الصور البيانية الموظفة في كتاباته نجد:

3.2.1. الاستعارة: وهي التي يتم فيها « استخدام كلمة بدلا من أخرى لعلاقة مشابهة تجمع بينهما ولوجود قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي » (حسين، دت، الصفحة 88)، والمتصفح لكتابات، يجد الاستعارة قد نالت حصة الأسد عن غيرها من صور البيان الأخرى، لما لها من وقع في قلوب المتلقين وتأثير في نفوسهم، ومن أمثلتها المبتوثة في ثنايا كتاباته، نذكر الأمثلة التالية على سبيل التمثيل لا الحصر :

« نجوم متألفة، في ليل الجزائر الحالك... » (الابراهيمي، دت، الصفحة 283)، وهي استعارة تصريحية، نجده يشبه فيها حال الجزائر ويصفها آنذاك بالليل الشديد الظلمة، وحذف المشبه لدلالة الحال عليه، وصرح بالمشبه به، وهو الليل الحالك وأضافه إلى الجزائر.

ومن نماذج توظيفها أيضا قوله : «... والحكومة الاستعمارية هي زارعة الخلاف بيننا، وهي التي تسقيه كلما ذبل وتغذيه كلما ضعف... » (الابراهيمي، دت، الصفحة 57)، ونوع الاستعارة هنا مكنية، لأن الكاتب شبه الخلاف بنبات، فحذف المشبه به، وأبقى على قرائن دالة عليه من ذلك: زارعة، تسقيه، ذبل، فأدت الاستعارة غرض تشخيص وتجسيد هذا الشيء المعنوي أي الخلاف، وهذا التصوير جعل المعنى أبلغ .

ومن نماذجها أيضا، قوله: « أما نحن فقد كنا علماء دين ودعاة علم وتربية، وزراع خير ورحمة... » (الابراهيمي، دت، الصفحة 275)، وهي استعارة مكنية، حيث شبه الخير والرحمة وهما شيان معنويان بشيء مادي هو كلمة زراع. وغيرها من النماذج الأخرى التي حظيت بها كتاباته .

فقد أسهمت هذه التقنية التي نلمسها بكثرة في كتاباته في رسم جماليات نصوصه وتوضيح دلالاته.

3.2.2. التشبيه: يعتبر التشبيه أسلوبا من أساليب البيان وهو « أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني » (الحمداي، 2001، الصفحة 89)، فهو من العناصر البيانية التي احتلت مساحة كبيرة بعد الاستعارة في كتابات الإبراهيمي، ومن أمثلته ما يلي: « جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تقي الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت... » (الابراهيمي، دت، الصفحة 21)، فنجد الإبراهيمي يشبه الاستعمار بالداء المميت، ويشبهه الفيروسات القاتلة .

وفي سياق حديثه عن الانتخابات، نجده يوظف التشبيه، فيقول: « إن الانتخابات في نظر الأمم الحية كميدان المصارعة الرياضية، لا ينتهي المتصارعان حتى يتصافحا على الوفاء للفن... » (الابراهيمي، دت، الصفحة 333)، كما نجده في موضع آخر يوظف تشبيها يبين فيه علاقة الإسلام بفرنسا، فنراه يقول: « الإسلام وفرنسا كالزيت والماء، لا يمتزجان إلا في لحظة التحريك العنيف » (الابراهيمي، دت، الصفحة 390)، وهو تشبيه مرسل مفصل يشبه فيه الإبراهيمي التنافر بين الإسلام وفرنسا بتنافر الماء عن الزيت.

ونجده يوظف هذا العنصر البياني في شعره بكثرة، فنجده يقول:

« ووسمه إمساك قرن الثور في يده كنافخ في الصور » (الابراهيمي، 1997، الصفحة 65)

وقوله أيضا :

« وتتبعنا الأوامر المسطورة هنا كابل في الغلا مقطورة » (الابراهيمي، 1997، الصفحة 66)

وفي سياق حديثه عن صورة الاستدعاء من المدير، نجده يقول:

« وهذه ورقة استدعاء كأنها شهادة استدعاء » (الابراهيمي، 1997، الصفحة 66)

والإبراهيمي يوظف أمثلة كثيرة في هذا الجانب لأنه على دراية بأن التشبيه يزيد من جمال الأسلوب ويثير اللذة والتشويق في النفس، وله القدرة على جمع الأضداد، وتكون النفس به متعلقة متأثرة، لذلك نجد توظيفه له شغل مساحة كبيرة، حقق من خلاله أهدافا تعبيرية ووظيفية وتأثيرية جمالية.

3.2.3. الكناية: هي شكل من أشكال التعبير بالتلميح يجوز أن يجمع بين الحقيقة والمجاز، وقد وظف الإبراهيمي الكناية لأغراض عديدة منها: التعمية والتغطية، ومن نماذجها في كتاباته: قوله « نجوم متألقة في ليل الجزائر الحالكة » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 283)، وهي كناية عن الاستبداد والاستعمار والتخلف، ومن نماذجها أيضا، ما قاله في معرض انتقاده للحكومة الفرنسية التي تصدر القرارات المجحفة عمدا، ثم تنكر ذلك «...وقد بلونها في جميع حالاتها وألوانها، فإذا هي، تغطي الشمس بالغربال» (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 98)، وهي كناية عن استحالة إخفاء الحقيقة. ومن أمثلتها أيضا قوله: «...هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة» (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 137)، وهي كناية عن التبدل والتغير والنفاق.

والنماذج في هذا الجانب كثيرة، لا يسعنا المقام لذكرها كلها؛ وإنما ذكرنا بعضها على سبيل التمثيل لا غير، وذلك قصد تبين كيف برع الإبراهيمي في التعبير عن أغراضه المختلفة في صور بيانية مبدعة، وكيف عبرت عن مقاصدها البلاغية الجميلة والرقيقة التي كان وقعها على أذن السامع أقوى، وذلك لدقة نظمها وجمال عباراتها وصياغتها. ووفقا لما سبق، نرى الإبراهيمي في توظيفه لهذه الخاصية (توظيف المحسنات والصور البيانية) التي امتاز بها خطابه الأدبي، قد أضفت عليه لمسة جمالية وبيانية، وأسهمت في إبراز دلالاته بألفاظ ومعاني جميلة ومعبرة.

4. أسلوب الحوار: يعد أسلوب الحوار من أبرز أساليب الخطاب الفعالة، فهو تعبير فكري وفني معا، كما يعتبر أداة من أدوات التعبير، يلجأ إليها الأديب للكشف عن فكرته بطريقة مثيرة.

وأسلوب الحوار يساعد على فهم الشخصيات المتحاوره بشكل أكثر وضوحا، وكشف نفسياتها بذكاء وبتصوير دقيق، فالحوار يخلق المشهد والموقف ويكشف الأحداث وتطورها ويعمل على بناء الموضوع.

وقد كان الإبراهيمي من أولئك الذين تنهوا لما للحوار من أهمية في نقل الأفكار إلى المتلقين، فاعتمد هذا الأسلوب خصوصا في أرجوزته (رواية الثلاثة) التي نظمها. كما سبق وذكرنا في جانب من جوانب هذه الدراسة. ليبين من خلال هذا الأسلوب الحوار الذي دار بين الثلاثة (الشيخ السعيد بن حافظ مدير مدرسة التربية والتعليم الحرة بقسنطينة، والأستاذان: عبد الحفيظ الجنان، ومحمد بن العابد (الجلالي)، المعلمان بها، وشيخهم هو مؤلف الرواية) أن الفرنك اللعين (قيمة طابع البريد الذي يحمل الرسالة للشيخ) هو سبب انقطاعهم وجفائهم له، فصاغ نصه الشعري في قالب حوار يبين من خلاله مظاهرهم في الرواية « فالرئيس يظهر بمظهر المدير الذي لم تفارقه رسوم الإدارة، الخائف الذي لا يلتمس القوة من نفسه، وإنما يلتمسها من غيره، السيء الظن بالرفيقين يحكم عليهما أنهما يحملان له حقدا، وينطويان له على ضغينه، مما يحمله المعلمون للمديرين/.../ والأستاذ ابن العابد يظهر بما يأتي لجماله، متوقع للشر والخسارة المالية من وراء هذه الاجتماعات، معارض للرئيس فيما يقوله حق أو باطلا/.../ والأستاذ الجنان يظهر في المظاهر الآتية: المسالمة والملاينة إلا في مواقف الجد، اللعب على حبلين ولو في موقف واحد، السعي في الإصلاح، كلما تفاهم خلاف، الميل إلى السرعة والحزم » (الإبراهيمي، 1997، الصفحة 63)

ومن مظاهر هذه الآلية (الحوار) في هذا النص، الحوار التالي الذي دار بين المدير والمعلمين:

« المدير: لا تبتئس فكلنا بئيس قياسه وكلنا رئيس

ابن العابد: انظر إليه كيف قال لكم ولم يقل منكم فماذا تحكم ؟

الجنان: أنا أرى أن الرئيس قد حكم لنفسه ومالنا إلا البكم
أوحى له المكتب والكرسي منزلة ما نالها إنسي
المدير: التزموا النظام يا إخواني فانتهم في الخير من أعواني
الجلالي: ونحن جمع بل أقل الجمع كما أتى به الدليل الشمعي
المدير: والجمع لا بد له من قائد يقوده لتحصل الفوائد
الجلالي: أعوذ بالله من القيادة وإن غدت في عصرنا سيادة
فاجتهدوا في غسل هذا العار من قبل أن يخلد في الأشعار
الجلالي: تخيفنا بالعار والأشعار ولست من حلّهما بالعار
المدير: أنا النذير فاسمعوا نصيحتي وأرهفوا أسماعكم لصيحتي
الجنان: بكلمة ثني الفصيح مفحما الحق سدى والبيان ألحما
إن الجماعة وما أسعدهم وعن سبيل السوء ما أبعدهم
أعين بهم جماعة التعليم وعصبة التهذيب في الإقليم
قد وضعوك أيها المدير في رتبة أنت بها جدير
المدير: صرح ابن فالخير في التصريح قد تبرأ العلة بالتشريح
الجنان: أقولها فصيحة صريحة قاطعي لصاحبي مريحة
أنت امرؤ تصلح للرئاسة وأنت أهل الحذق والكياسة
وهكذا فليكن المدير وهكذا فليكن البندير
المدير: مالك لا تفتأ تزدريني وبكلام السوء تعتريني
أما علمت أنني أميرك وإنني من قبلها مديرك» (الابراهيمي، 1997، الصفحة 67. 69)

وعليه نرى بأن أسلوب الحوار الذي وظفه الإبراهيمي في نصه الشعري ساعد إلى حد كبير على فهم الشخصيات المتحاورة بشكل أكثر وضوحا وكشف مظاهرها ونفسياتها.

ومما سبق يمكننا القول بأن هذه السمات التي تم ذكرها، هي أبرز الخصوصيات التي تميزت بها كتابات الإبراهيمي، وجعلها من بين السمات الغالبة على خطابه الأدبي.

II. خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن:

- مصطلح الخطاب عرف اضطرابا مفهوميا، جعل مفاهيمه تتعدد، الأمر الذي جعله يرتبط بعدة دلالات وعدة مصطلحات، فهناك من يربطه بالكلام "دي سويسر"، وهناك من يربطه بالملفوظ "ز. هاريس" وهناك من يربطه بالتلفظ، وهناك من يربطه بالنص.

- ما يحدد هذا المصطلح (الخطاب) ويحصره ضمن اتجاه معين، هو السياق الذي تستعمل فيه بعض العبارات دون سواها، ووفقا لذلك يمكننا أن نميز بين (الخطاب الأدبي، الخطاب الديني، السياسي...).
- الخطاب الأدبي هو الممارسة الأدبية للغة سواء كانت شفوية أو كتابية، وهذه الممارسة مرتبطة بأسس ومقاييس فنية مختلفة باختلاف الأنواع والفنون الأدبية.
- البشير الإبراهيمي قطب النهضة العلمية والفكرية وأحد رعاة الثقافة العربية الإسلامية في القطر الجزائري، وأحد دعاة الثورة على الاستعمار الفرنسي لبلاده.
- صاحب حس أدبي مرهف وذو شاعرية فياضة.
- خطابه الأدبي (النثري والشعري) تميز ببعض الخصوصيات التي جعلت من نسيجه اللغوي متماسكا واضحا قويا ...
- كانت خاصية الاقتباس من بين أهم الخصوصيات التي استعان بها الإبراهيمي في كتاباته، وخصوصا اقتباسه من القرآن الكريم، الذي يعد منبعه الأساسي، لذلك لمسنا على أسلوبه استنجاهه بالآيات القرآنية، لأنه على قناعة بأن النص القرآني غني لا نظير له من الناحية الفنية والبلاغية.
- لقد اتخذ الكاتب من خاصية "السخرية" وسيلة للنيل من خصومه (الاستعمار) ووسيلة للدفاع عن قضايا مجتمعه، والتعبير عن آلامه.
- وظف الإبراهيمي في كتاباته "المحسنات البديعة والصور البيانية" كآلية من آليات الإقناع التي تجعل القارئ يقتنع بما يسمعه من أفكار، فقد أدى هذا التوظيف إلى إبراز المعنى المقصود، بالألفاظ الجميلة الموحية، التي استطاع من خلالها إقناع القارئ وإبعاد الملل عنه.
- يوظف الإبراهيمي "أسلوب الحوار" في بعض كتاباته، ليكشف من خلاله عن فكرته بطريقة مثيرة، مبعدة للملل، ويساعد على فهم شخصياته المتحاورة بشكل أكثر وضوحا.

الإحالات والمراجع:

- الإبراهيمي، أحمد. طالب. (جمع وتقديم). (1997). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ج1-3، ط 1). دار الغرب الإسلامي.
- الإبراهيمي، محمد. بشير. (2008). الطرق الصوفية: مقتطفات من تصدير نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (ط. 1). مكتبة الغريب الأثرية.
- الإبراهيمي، محمد. بشير. (د.ت). عيون البصائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ابن منظور، (1997). لسان العرب (ج2، ط 1). دار صادر.
- الزمخشري، جار الله. القاسم. (1997). أساس البلاغة (ط 1). بيروت، لبنان.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (1972). المعجم الوسيط (ج1، ط. 2). المكتبة الإسلامية.
- عصفور، جابر. (1997). آفاق العصر (ط. 1). دار الهدى للثقافة والنشر.
- دي سوسير، فارديناند. (د.ت). علم اللغة العام (يوثيل يوسف عزيز، تر) (ط3). دار الأنفاق العربية.
- عبد الرحمان، طه. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (ط 1). المركز الثقافي العربي.
- الرويلي، ميجان، و البازغي، سعد (2002). دليل الناقد الأدبي (ط 3). المركز الثقافي العربي.
- ميلز، سارة. (2004). الخطاب (يوسف بغول، تر.). منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري.
- الباردي، محمد. (2004). إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة. مركز النشر الجامعي.
- المسدي، عبد السلام. (1982). الأسلوب والأسلوبية (ط 3). الدار العربية للكتاب.
- السد، نور الدين. (2010). الأسلوبية وتحليل الخطاب (ج1). دار هومة.
- بن مالك، رشيد. (2000). قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص. دار الحكمة.
- شيخ أمين، بكري. (2003). البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع (ط 7). دار العلم للملايين.
- النووي، ي. ب. ش. (د.ت). رياض الصالحين. دار الريان للتراث.
- حفني، عبد. الحليم. (1992). التصوير الساخر في القرآن الكريم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جبور، عبد. النور. (1984). المعجم الأدبي (ط 2). دار العلوم للملايين.
- حسنين، صلاح. الدين. (د.ت). الدلالة والنحو (ط 1). مكتبة الآداب.
- الحمداني، فالج. أحمد. (2001). الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف (ط 1). مؤسسة الوراق.